

جذور الخلافات الارتية
وطرق معالجتها

بتلم
عثمان صالح سبي



ililom@yahoo.com

جذور الخلافات الارترية وطرق معالجتها

بتام
عثمان صالح سبى

مقدمة

لماذا لا تعلنون آلاستقلال طالما ان ثورتكم تسيطر اليوم على ٩٥٪ من بلادكم ؟ ان اعلان الاستقلال سيرفع مكانة ارتريا السياسية دوليا وسيمكنتها من انتزاع الاعتراف بالاستقلال من معظم دول العالم .

سؤال تقليدي يواجه ثوار ارتريا اينما حلوا في بقاع الدنيا . والجواب التقليدي دائما هو : لاننا مختلفون .. نحن آلان ثلاثة منظمات .. وكل منظمة تدعى تمثيل الشعب الارتيي كله ، مع استحالة شمولية التمثيل في ظل الانقسام الذي ينعكس على جماهير الشعب . ولو اعلن فصيل من الفصائل الثلاثة الاستقلال في احدى المدن المحررة ، لانطلقت صيحة الاستقلال في مدينة اخرى ، مما سينشأ معه في ارتريا ثلاثة حكومات تدعى كل منها تمثيل الشعب .

ورب سائل يتتساءل ... طالما ان الخلاف هو فقط العائق الوحيد امام اعلان الاستقلال وتحرير ما تبقى من المدن ، فلماذا لا تتناسون خلافاتكم وتتفقون على برنامج حد ادنى على الاقل ؟ ثم بعد التحرير تتفقون او تختلفون .. لتقاتلون او تتحاولون في ظل راية الاستقلال بعد ان تكونوا قد ملکتم جميعا مصيركم ؟؟

والجواب المنطقي هو : يجب ان نتفق ، فلا تبرير يمنع شعبا من التمتع باستقلاله وحريته بعد نضال طويلا دام وشاق على مدى ستة عشر عاما . ولكن طفيان الطموحات الانانية الضيقة لدى بعض القيادات طمست سيادة المنطق والعقل ، فكان الخلاف حول سلطة وهمية .

الخلاف — ايا كانت مبرراته ، خاصة داخل حركات التحرير — معوق للنصر .. ولكن مع ذلك لا يأتي من فراغ ، فلا بد وأن تكون له اسباب موجبة .

والخلاف الارتري — الارترى ، مثال الخلاف اللبناني — اللبناني ، والخلاف القبرصي — القبرصي له جذور تاريخية تعود على الاقل — اذا تناسينا الماضي البعيد وهو محفور في اللاوعي — الى فترة تقرير المصير في الأربعينات عندما طرحت القضية الارترية امام شعبيها ليقرروا مصيرهم في عام ١٩٤٦ اثر اتفاقية باريس للسلام بين ايطاليا ودول الحلفاء الاربعة المنتصرة .

عند ذاك اختلف الارتريون وانقسموا تحت راياتهم الدينية : مسلمو ارتريا يطالبون بالاستقلال الكامل ، و المسيحيون يطالبون بالاندماج الكامل مع اثيوبيا . وكانت النتيجة ان فقدت ارتريا استقلالها ، واجبرت على قبول حل سمي (وسطا) وهو الاتحاد الفدرالي مع اثيوبيا . ثم دارت عجلة الزمن ، فكان ان اتحد السكان لمقاومة الغزو الايثيوبى تحت راية جبهة التحرير الارترية بعد ان فشل الاتحاد الفدرالي عام ١٩٦٢ .

ولكن جذور الماضي لم تقتلع نهائيا ، وانعكس خلاف

الماضي على نضال الحاضر ، وانقسم السكان تحت راياتهم الدينية ، مسيحيين الى ذلك خلافاتهم الاقليمية والقبلية ، في تنافس محموم من اجل هيمنة فريق واحد على السلطة في القطر .

هذا الخلاف في ماضيه وحاضره يعكس عجز القيادات في مواجهة متطلبات « تعدد التكتوين البشري الارتري » بوضوح وصراحة حتى توضع لهذا التعدد حلولاً مناسبة . وعوضاً عن ذلك لجأ معظم القادة الى التستر تحت شعارات يسارية متطرفة لاخفاء تجمعاتهم الدينية والقبلية ، فكان الامر كمن يخفى جروحه برباط نظيف دون معالجة الجرح .

نحن مع استبعاد التجربة اللبنانية او التجربة القبرصية التي تكرس الطائفية بتخصيص مناصب وزارية وادارية لكل طائفة ، لأن لبننة ارتريا او قبرصتها تعني القضاء على كيانها الموحد . ولتكنا مع معالجة الواقع الارتري بحلول واقعية تمنع شعور اي فئة بالغبن وتؤمن التوازن العادل . انا مع الاعتراف بأن هناك مسلمون ميالون بحكم تكوينهم الجغرافي والتاريخي والثقافي الى الارتباط بأوثق الروابط بالامة العربية مع اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية لهم ، كما ان هناك وبنفس القدر مسيحيون يتذدون التجرينية لغتهم الرسمية ولهم ارتباطات تاريخية ودينية وثقافية بأقاليم التجاري الاثيوبي المجاور . هناك أيضاً نزعات اقليمية وقبلية لها ارتباطات خاصة بخارج الحدود الارترية وبخاصة بالسودان وبسلطنة اوسا .

هذه الحالة ليست خاصة بأرتريا وحدها ، فمعظم اقطار

العالم لها نفس الواقع والسمات . إنما الخطوة تأتي عندما يتجاهل فريق وطني مصلحة الفريق الآخر ويحاول فرض سماته الخاصة على الآخرين .

إن هذا الكتيب قد وضع لمعالجة مشكلة الكيان الارترى بوضوح وصراحة وعلىأمل ان يسهم هذاالوضوح فيبعث روح جديدة في جسم وحدتنا المفككة بتسليط الضوء على جذور الخلاف ودواتعه الحقيقية حتى يبني صرح الوحدة على اساس صحي .

هناك ولا شك مصانع مشتركة بين ثبات ارتريا المتباعدة كما هناك نقاطا لقاء يمكن تنميتها بحيث يصبح الكيان الارترى منسجما مكملا لبعضه البعض . ان انجاز هذا الانسجام هو من مسؤولية القيادات الارترية المختلفة كلها ، كما ان الدول العربية الداعمة للثورة الارترية شتركت في هذه المسئولية بقدر كبير .

ان لبنيته ارتريا تعني لبنيه القرن الافريقي كله . فالتكوين السكاني في اثيوبيا ذاتها مشابه للتكون الذي كان في ارتريا مع الفارق في الحجم . وان اي صراع بين مسارا طائفيا في ارتريا ينعكس آليا على عموم منطقة القرن الافريقي . ولن يقتصر الصراع على الاطراف المحلية ، بل سيشمل العديد من دول المنطقة بما في ذلك السودان والصومال وجيبوتي وكينيا وربما اقطار عربية وافريقية أخرى . وسيجد كل فريق مؤازرة دولية وستفرق المنطقة — بل ربما العالم كله — في اتون صراعات مسلحة تقضي على البشرية .

ان استقلال ارتريا في اطار كيانها السياسي الراهن ،

يشكل تجربة رائدة لتعايش الثقافات المتباعدة والسلالات العرقية المختلفة في منطقة القرن الافريقي ومناطق اخرى من العالم . فأرتريا تمثل نموذجا للقطر المتعدد الثقافات والعروق . وربما من مصلحة الامبراطورية الايثيوبية المفككة تأيد استقلال ارتريا حتى تخلق نموذجا يحتذى لشعوب اثيوبيا بنجاحها في ادارة شؤونها في ظل المودة والتسامح والمساواة . انتي وكأحد المسؤولين في اجهزة الثورة الارترية منذ ميلادها ، ادعو الجماهير الارترية وفصائلها وقياداتها المتباعدة ان تقرأ هذا الكتيب بامان ، كما ارجو الا تؤول معانيه تأويلا يبعدها عن المقاصد النبيلة التي هدفت اليها . انتي ادعو كل الارتريين ان يسهموا بالرأي الصريح والشجاع في معالجة مشكلة الوحدة الوطنية التي هي اكبر مشكلة تواجهنا اليوم ، حتى لا تفوتنا فرصة الاستقلال الى الابد كما فاتتنا في عام ١٩٥٠ .

وملاحظة اخيرة اود ان الفت اليها نظر القراء وهي ان مضمون هذا الكتيب يمثل رأيي الشخصي وليس رأي التنظيم الذي انتمي اليه . وقد سجلته من منطلق شعوري بالمسؤولية الوطنية كمواطن ارتري قبل ان اكون رئيسا للمجلس المركزي لقوى التحرير الشعبية لجبهة التحرير الارترية . واني اتحمل مسؤولية رأيي كاملا .

وليس من مقصدي اتهام احد او التقليل من شأن احد . واذا كانت بعض آرائي تغضب بعض القادة الارتريين ، فمعذرة لهم سلفا ، فقصدني من الاتيان على ذكر ما اعتقده صوابا هو معالجة المشكلة وليس خلق مشكلة جديدة او

الإساءة الى احد . وأملني ان يبادرني الآخرون اراؤهم بصرامة
مماثلة فینشأ بين الجميع الحوار البناء الذي يوصلنا الى بر
الامان — بر التوحدة الشاملة القائمة على اسس واقعية
صحيحة .

عنمان صالح سبي

١٩٧٨/٢/٢٠

—٨—

الفصل الاول

تأثير الجغرافيا والتاريخ على تكوين سكان ارتريا

في عام ١٩٥٧ وبينما كنت مديرًا لمدرسة حرقبيو - ضاحية مصوع - ، قمت بجولة استطلاعية أخذتني إلى الحدود الارترية - السودانية مروراً بالهضبة . ولم اكن قد تجاوزت في زياراتي السابقة للمناطق الارترية حدود مدينة كرن . ولأول مرة شاهدت على الطبيعة حدود التباين بين اجزاء ارتريا - أرضاً وشعباً ومناخاً .

كان ذلك في شهر يوليو (تموز) ، اشد اشهر السنة حرارة في الساحل الارترى ، وفي ميناء مصوع وضواحيها التي تعد من احر واجف مناطق العالم ، وحيث يلبس السكان اخف الملابس واقلها سماعة طلباً لنسمة باردة تخترق مسام الجسم الشبه عاري . والناس هنا يجلسون بملابسهم البيضاء وعمائهم الملفوفة بانتظام واناقة كاهل الحديدية باليمين او جده بالحجاز ، على كنبات خشبية منثورة في الهواء الطلق امام المقاهي المبنية على الطراز العربي القديم .

وفجأة انتقلت من بيئه ساحل الجزيرة العربية القاحل الى هضبة ارتريا الخضراء المطيرة عندما بلغ بنا الباص ذرى جبال حماسين في مسافة لا تزيد عن الساعتين . هنا كل شيء يختلف - الامطار الموسمية التي عادة ما تهطل عند الظهيرة تمنح الهضبة بركاتها وتكسوها حلقة سندسية خضراء

وجو ربيعي دائم يساعد في دوامة الارتفاع الذي يصل ما بين ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ قدم . وتبعد للطبيعة الجغرافية تختلف طرق معيش السدان وعاداتهم ، فهم يبحثون عن الدفء لا البرودة . وهم فوق ذلك بالاكثرية الساحقة اقباط مسيحيون يتحدثون التجريبية وتتشابه بيئتهم وثقافتهم بأهل التجاري — ابناء عمومتهم ، وورثة حضارة اكسوم العتيقة ، بالجانب الآخر من الحدود الارترية — الايثوبية . وهنا تختفي العربية المألوفة كتابة وحديثا في الشاطئ الارترى كما تختفي لهجة التجري السائدة بين سكان شاطئ مصوع والساحل الشمالي والأقاليم الغربية لتحول محلها التجريبية المكتوبة بالحروف الحبشية ذات الاصول الحميرية اليمنية . ويصعب هنا للقادمين من مناطقنا التفاهم بآية لغة محلية مشتركة ، الا ما كانت من كلمات منتشرة خليطة من التجاري والتجربي — ذات الاصول الجزئية — الحميرية المشتركة .

ولم يكن التباين في اللهجة او الدين او العادات والتقاليد كبيرا عندما وصلت كرن — بلد البساتين والخضروات والفاكه المدارية والطقس المععدل — فالسكان هنا بالغالبية مسلمون ، ورغم ان اكثيرتهم يتحدثون لهجة البلين الا ان لهجة التجري سائدة بينهم وكذلك العربية ولو كانت بلهجة سودانية ، عكس الشاطئ حيث تسود اللهجة العربية اليمنية .

وكما توجهت نحو الغرب باتجاه اغوردات وبارتنتو وتسني وجدت نفسي متوجلا نحو بيئة السفانا — سهول تخللها تلال تغلب في حياة اهلها الرعي وقطعان الماشية من الابل والبقر والغنم لا تفارغ النظر . انها شعوب الوجهة التي

تشكلت عبر اختلاطات تاريخية بين العرب والزنوج والبلجة الحاميين وهم امتداد سكاني وجغرافي لسهول السودان ، وحيث لهجة البلجة - الدارب - تختلط بهجة التجراي بجانب لهجة السودان العربية . وفي اواساطهم مجموعة القبائل الافريقية النيلية - الباريا والبازا ومجاميع اخرى صغيرة متشرة يعدها بعض المؤرخين اقدم من استوطن سهول ارتريا الغربية كزروع مستقررين . لقد كان هؤلاء بالنسبة الى البيئة شبه العربية التي نشأت فيها في مصوّع عالماً افريقيا جديداً بكل سحره وغموضه وفلكلوره الافريقي الجميل .

وفي عام ١٩٥٩ انتهى طوافي بعصب الميناء الآخر لارتريا في الجزء الجنوبي الاقصى القريب من باب المندب . هنا البيئة الجغرافية لا تختلف عن بيئه الساحل الارترى عموماً الا ما كان من زيادة في الجفاف وقسوة في الطبيعة تشهد عليها الجبال البركانية الجرداء وتنعكس في احوال السكان المعيشية الذين يتحدثون اللهجة الدنكالية (النفرية) وحيث شاهدت ابناء عمومتهم يأتون من سلطنة اوسا عبر الحدود الارترية - الايثيوبية والذين تجمعهم بهم اواصر العنصر واللغة والدين . من مصوّع الى تسنى - مسافة ٥٠٠ كيلومتراً - ومن مصوّع الى عصب - مسافة مماثلة تقريباً - وهي بمقاييس العصر وحيث الكره الارضية كتها أصبحت كمدينة واحدة ينتقل الانسان بين اجزائها من قارة الى اخرى في ساعات ، احسست وكأنني تنقلت بين قارات وشعوب متباعدة . فارتريا بالنسبة لحجمها - مساحة وسكاناً (مائة وعشرين الف كيلومتر مربع وثلاثة ملايين نسمة) تعد قارة مصفرة لما

تحويه من تعدد في الاجواء الطبيعية والتضاريس والسكان بلهجاتهم واديانتهم وانتماءاتهم العنصرية والتاريخية والمبينة . نستنتج من هذه النمحة الميدانية للبيئة الجغرافية والسكانية لارتريا ان التعدد هو الصفة الفالبة للسكان الارتريين ولطبيعة بلادهم . ويعود ذلك الى كون ارتريا بحكم موقعها الجغرافي على امتداد سهول السودان وهضبة الحبشة وصحاري الجزيرة العربية التي لا يفصلها عنها سوى شريط البحر الاحمر الضيق ، كانت على مر الاجيال مسرحا دائما لwaves متتالية من الهجرات البشرية ، بعضها كان عابرا فقط ، وبعضها الاخر استقر في البلاد واستوطن . والنتيجة ان السكان اليوم يشكلون مزيجا معقدا من العناصر والقبائل واللغات واللهجات والاديان يمكن ان يطلق عليها موزاييك عرقي وثقافي .

ولكن لا التجمع السامي ولا التجمع الحامي يشكل عناصر صافية العرق ، اذ ان هذه التجمعات قد تعظمت ، على مر الاجيال ، من دم بعضها البعض ، وامتزجت بالتجمع الزنجي ، الى جانب مصادر اخرى يصعب تحديدها . وحتى في اطار القبيلة ، فان وحدة العنصر قضية قابلة للنقاش ، فمعظم القبائل المسلمة التي تتحدث لهجة واحدة ونجمعها روابط المصالح والارض ونمط الحياة ، نجدها تنتمي الى اصول متعددة ، اتاحت مع مرور الوقت لاسباب امنية تحت حكم زعيم قوي واحد . ولكن الاسلام الذي هو دين القبائل المسلمة في المناطق الساحلية والمناطق الغربية ومن فيها من الحضر ، يحقق تجانسا دينيا وثقافيا نسبيا فيما بينهم دون ان

يلغى نهائيا الفوارق القبلية والإقليمية ، فيما تشكل سيطرة الالفتين العربية والتجراي عناصر توحيد بين السكان مع التأكيد على وجود ستة لهجات اخرى تتحدث بها المجموعات الاسلامية ولو كانت نسبتها العددية قليلة .

ومثلها يمكن ان يقال بالنسبة للزراعة المستقررين في الهضبة ، فان انتكواين الاقليمي الذي جاء نتيجة تطور تاريخي طويل ، يمنع المقاطعات المختلفة – اكلي قوزاي ، سراي ، حماسين ، بل واحيانا التنوع داخل الاقليم الواحد – طابعا مميزا وحتى عاداته الخاصة . ويظهر الاختلاف في العادات بين المديريات والاقاليم في مختلف مجموعات القرانيين العرفية المعتمدة . فأكثر سكان اكلي قوزاي تتبع مجموعة القرانيين معروفة باسم (محازا) بينما في السراي تسود مجموعة القرانيين العرفية المعروفة باسم (ملجا اكدمي) نسبة الى الشقيقين الذين يتحدر منهما ابناء سراي . اما في حماسين فقد اعتمد نصف اقاليمها قانون (جبر كرستوس) النسوب مثل قانون (دقي تشيم) الى احد اقاليم المديرية ، بينما لبقية الاقاليم قوانينها الخاصة بها ، وهكذا الحال بالنسبة لمختلف اقاليم اكلي قوزاي والسراي حيث لكل منها قوانينه الخاصة . وتبرز في اهم مجموعات القرانيين في المحافظات الثلاثة فوارق كبيرة في الاطارين القانوني والاجرائي .

غير انه ، مقابل هذه الفوارق وتلك الصلات ، توجد وحدة هي اوسع واقوى واشمل من تلك التي يجسدتها عادة البلد الواحد . فالمحافظات الثلاثة تشكل مثلا جزء من تلك المجموعة الثقافية الحضارية والعنصرية الواسعة التي يميزها

الديانة المسيحية الارتوذكسيّة واللغة التجرينية ونمط عيش المزارعين المستقرين في قرى كبيرة وفي مدن .
وخلاصة القول ، وبالنظر الى الامتراجات العنصرية المتداخلة عبر تزاوجات تاريخية ، وتبسيطاً للامور ، وتجاوزاً للخلافات السياسية ، يمكن ان نقسم ارتريا الى مناطق جغرافية تحت أسماء :

- ١) السهل الشرقي
- ٢) "سهل الغربي
- ٣) سلال الشمالية
- ٤) الهضبة الوسطى .

والممناطق الثلاثة الاولى تسكنها في الاغلب قبائل مسلمة ، تتحدث معظمها التجري وتتّخذ اللغة العربية لغة متشابهة الى حد كبير ، فمعظم السكان يمارسون الرعي مع الزراعة ، اضافة الى الحضر الذين : شون بمحظوظ انواع الحرف - التجارة ، الصيد ، الصناعات اليدوية البسيطة الخ ...
اما سكان الهضبة فمعظمهم مسيحيون ارتوذكس يتحدثون التجرينية وهي لغة مكتوبة بالحروف الحبشية ويستغلون بالزراعة والحرف الاخر في المدن وبخاصة اسمرة التي هي عاصمة ارتريا بجانب كونها عاصمة محافظة حماصين .

ومن الواضح ان هذا التقسيم على اساس الجغرافيا يعكس ايضا التقسيم الديني للسكان . فالممناطق الاسلامية في ارتريا بصفة اساسية - مع وجود استثناءات هنا وهناك - هي امتداد لسهول السودان المسلم ، بقدر ما الهضبة

تشكل امتدادا لهضبة الحبشة جغرافيا ودينا ولغة .
ويصدق في ذلك قول المؤلف المصري الدكتور رجب
حراز في كتابه (ارتريا الحديثة ١٥٥٧ - ١٩٤١) عندما
يقول :

(لقد اتحدت مشيئة الطبيعة وتاريخ الهجرات الطويل
على ان يجعل من ارتريا بلادا حبشيـة - سودانية سـواء
بسـواء ، وهو ينسحب على اوضاع ارتريا الجغرافية وروابطها
الاقتصادية . كما ينسحب على كيانها الاثنولوجي والديني
الى حد كبير) .

من المفيد ان نقر الحقيقة الواقعـة وهي ان ارتريا تضم
مزيجـا من السلـلات العـرقـية التي لها جـذور مختـلـفة ولكنـها
متزاوجـة مـمتـزـجة ، كما تـنـها روـابـط مع سـائـر المجتمعـات
المـتواـجـدة وراء حدود ارتـيرـيا . بعضـهم من المسلمين وبـعـضـهم
الـآخـر من المسيـحـيين . بعضـهم استـقـرـ مـزارـعا وبـعـضـهم يـمارـسـ
الـبـداـوةـ المـتنـقلـةـ بـحـثـاـ عنـ المرـعـىـ .

ومـعـ ذـلـكـ فـانـ هـذـهـ الفـوارـقـ لاـ تـمـنـعـ الـأـرـتـريـينـ انـ يـكـونـواـ
شـعـبـاـ وـاحـدـاـ تـجـمعـهـ المـصالـحـ المشـترـكةـ . فـنـادـراـ ماـ يـوـجـدـ فيـ
اقـطـارـ الـعـالـمـ الـيـوـ مـشـعـبـ منـ سـلـالـةـ وـاحـدـةـ يـتـحـدـثـ لـفـةـ
واحدـةـ . خـذـ مـثـلاـ توـغوـ ، وـهـوـ قـطـرـ صـفـيرـ فيـ غـربـ اـفـرـيـقيـاـ
لـاـ يـتـجـاـزـ عـدـ سـكـانـهـ مـلـيـونـيـ نـسـمةـ ، وـمـعـ ذـلـكـ يـتـحـدـثـ سـكـانـهـ
ثـلـاثـيـنـ لـهـجـةـ – عـلـىـ عـدـ قـبـائلـهـ – وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ يـعـيـشـ
جـزـءـ مـنـ هـذـهـ القـبـائلـ خـارـجـ حدـودـهـ وـبـالـخـصـ فيـ غـانـاـ مـاـ خـلـقـ
مشـكـلةـ حدـودـيـةـ بـيـنـ الـبـلـدـيـنـ لـاـ تـزالـ قـائـمةـ . مـثـلـهـ مـعـظـمـ
اقـطـارـ الـعـالـمـ . فـيـ اـسـبـانـيـاـ يـعـيـشـ جـزـءـ مـنـ شـعـبـ الـبـاسـكـ

في فرنسا على المناطق الحدودية ، ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من أن تصبح مقاطعة الباسك إسبانية . وفي كندا تعيش المجموعتين الثقافيتين الكبيرتين — ولاية كوبيك الفرنسية والولايات الأخرى الناطقة بالإنجليزية في إطار نوع من الاتحاد . ومثلها سويسرا حيث توجد أربعة مجموعات ثقافية .

وربما توجد لصالح وحدة السكان الارترى عوامل ايجابية لا تتوفّر لدى غيرهم ، فمعظم المتحدثين بالتجرينية والتجري الذين يؤلفون اغلبية السكان ينتمون إلى التزواج التاريخي للعنصرين الحامي والسامي والى ثقافة سامية مشتركة . علاوة على كون سكان ارتريا كلهم يرتبطون ببعضهم بعضاً بروابط اقتصادية متينة منذ عهود سحرية بجانب شبكة المواصلات التي تتحذّس اسمراً مرکزاً لها .

ومع ان الكيان الارترى حديث التكوين — كغيره من اقطار العالم التي نشأت اثناء الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ، الا ان صلة المصالح كانت قائمة بين مختلف المناطق الارترية . وقد خضعت ارتريا بحكم موقعها الجغرافي وتعدد الهجرات البشرية التي استقرت في مختلف مناطقها لدول مختلفة في وقت واحد . وارتبطت بعض اجزائها بأجزاء أخرى من البلدان المجاورة ، كما هو الحال بالنسبة الى الهمبة الارترية التي ارتبطت في فترة من الفترات بملكية اكسوم ، او منطقة بركة في غرب ارتريا بملك البحيرة ومملكة سنار في السودان ، او شاطئ البحر الاحمر الذي خضع لسلطان اليمن والحجاز والاتراك والمصريين .

واثناء هذه الارتباطات المتباينة لم تنقطع صلة المصالح

بين الاقاليم الارترية . فرحلات الشتاء والصيف للرحل ظلت مستمرة وكذلك قوافل التجارة ، بدل واحيانا التحالفات العسكرية . فلم يمنع اختلاف الدين مثلا تحالف اسحاق بحر نجاش ، حاكم دباروا ، المسيحي من التحالف مع نائب مصوع المسلم ، ومع ملكة مزجة البلوية المسلحة في بركة – الملكة جعيوة – ضد الملك صرما دنقلا ، ملك الحبشة حيث وقعت بينهم معركة شديدة في (تمبىن) بهضبة التجراي في عام ١٥٧٨ وهزم فيها التحالف .

كما لم يمنع الاختلاف الديني لجوء اهالي حماسين واكلي قوزا الى السلطات المصرية في مصوع وكرن هربا من طغيان الامبراطور يوهنس ، امبراطور اثيوبيا ، الذي كان ينهب ممتلكاتهم ويسقيهم سوء العذاب . وكما يقول المؤلف الفرنسي (دوين) Douin نان، حاكم عدى خاله ابلغم سلطات مصوع بأنه يرغب في الحصول على مساعدة الحكومة المصرية وكذلك عمدة دباروا . وفي ٢٤/١٢/١٨٧٥ وصل ولد اتولا مع اسرته الى سنجحيت (كرن) ليضعوا انفسهم تحت حماية المصريين . وفي اليوم التالي جاء مصوع بحر نجاش ولدو ولد جبرو عمدة سحرتي وبصحبته جمع كبير من اهالي القرى المجاورة لبلدته واعلن بأنه يرغب في ان يحظى بحماية الحكومة الخديوية . وقد استقبله راتب باشا ، قائد القوات المصرية ، استقبلا حسنا واوصاه بالرجوع الى بلده حتى وصول العساكر المصريين الى حماسين وأن يقوم برفع الروح المعنوية بين عساكر القرى المجاورة . وفي ٢٩/١٢/١٨٧٥ جاء الى مصوع عمد وشيوخ اخرون من

حامسين واكلي قوزاي ليعلنوا ولاءهم للحكومة المصرية .
(وفضلا عن ذلك ، فقد كتب رأس ولد ميخائيل ، حاكم
حامسين السابق ، الى راتب باشا يقول بأنه يريد ان يقدم
فروض الطاعة والولاء للخديوي اسماعيل الذي يعده سيده
ومولاه ، واضاف بأنه على استعداد لتقديم المساعدة للقوات
المصرية . ولم يكتفى ولد ميكائيل بذلك ، بل ارسل رسولا من
طرفه الى مصوع في ١٨٧٦/٢٣ ، وابلغ السردار بأن
سيده قد قطع جميع علاقاته بنجاشي الحبشة . ويعتبر نفسه
من رعايا الحكومة المصرية وانه سوف يخدمها باخلاص ،
والتمس ان يظل حاكما على الجهات المتدة من نهر مرب
الى حامسين) . انتهى .

فضلا عن ذلك ، فآية حدود او اسماء تمثل حدودا
واسماء قديمة من بين المائة والخمسين دولة التي تتالف منها
هيئه الامم المتحدة ؟ اذا ما استثنينا اقطارا قليلة تعد على
اصابع اليدين ، فان معظم هذه الاقطار هي نتاج القرن
التاسع عشر والقرن العشرين . ماذا كان اسم كينيا مثلا قبل
مائة عام ؟ او الباكستان ؟ او الارجنتين او حتى الولايات
المتحدة الامريكية ؟ بل ماذا كان اسم اثيوبيا نفسها ؟ كانت
تسمى الحبشة وكانت محصورة في الهضبة المعروفة باسمها .
اما تسمية اثيوبيا اليونانية الاصل (الوجه المحروق) فقد
اطلقها الامبراطور منيلايك بعد ان وسع حدود مملكته (شوا)
على حساب جيرانه من الفلا والصوماليين والعفر وغيرهم
باتتواء مع الاستعمار الغربي في نهاية القرن التاسع عشر .

الفصل الثاني أسباب الفشل للحصول على الاستقلال

نشأت حركة تقرير المصير في ارتريا في وقت مبكر نسبياً بالمقارنة مع اقطار افريقيية أخرى . فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية اتاحت الادارة البريطانية الفرصة للشعب الارتي للاعتراض عن ارائه السياسية بخصوص تقرير مصر وطنه بعد ان مهدت ب مختلف الوسائل الخبيثة لمشروعها الرامي الى تقسيم ارتريا بضم الجزء الغربي والشمالي المسلم الى السودان وضم بقية الاجزاء الى اثيوبيا بحجة منع اثيوبيا منفذا بحريا في البحر الاحمر .

ساعد التوجه البريطاني الاستغلال الشعبي من قبل الحكومة الاثيوبية للكنيسة الورثوذكسيّة التي هيمنت مشاعر المواطنين المسيحيين لصلاحتها السياسية ، فكانت الادارة المهددة للانقسام الديني الذي صبغ الحركة السياسية بصبغة طائفية ادت في النهاية الى انقسام الشعب على اساس ديني — مسلم يطالب بالاستقلال ومسيحي يطالب بالاتحاد مع اثيوبيا .

يقول كندي ترافاكس ، السكرتير السياسي للادارة البريطانية آنذاك ، واحد من ساهموا في صنع هذا الانقسام في كتابه (ارتريا مستعمرة في مرحلة انتقال — ١٩٥٢ — ٤١)

(لم يحدث في ارتريا ما كانت اثيوبيا تتوقع ، اي تأييد شعبي عفويا لها . وما يثير الحيرة انه حتى في الماضي ، لم يظهر المتحدثون بالتجرينية الا لا مبالغة سياسية تجاه روابطهم التاريخية مع اثيوبيا . كما ان موقف اثيوبيا في الماضي لم يسبب لايطاليا اية مخاوف جدية . ولم تشهد ارتريا قيام اي طابور خامس اثيوبي بعد هزيمة الظليان في عدوا . ويوم غزا الظليان اثيوبيا نتفوا من الارتريين اخلاص واحد تعاون ممكн .

(ولم يبق امام الاثيوبيين سوى تحريك بعض التأييد الارتزي . وفي هذا السبيل وجهوا عنایتهم نحو الكنيسة القبطية اولا ، فالكنيسة كانت الحامي الدائم للتقاليد الجشية . ولا بد ان يكون لها نفوذ كبير بين مسيحيي ارتريا واثيوبيا . ولا بد لصلحتها هي من العمل في سبيل وحدتهم السياسية . اضافة الى انه كان للكنيسة املاك شاسعة بما فيها اراضي (بحري) الخصبة . وجاء الظليان فانتزعوا هذه الممتلكات وحولوها الى اراض حكومية ، ثم وزعواها على كثير من قرى الهمببة الجائعة وعلى عدد قليل من المستوطنين الظليان . اما الانجليز فانهم رفضوا كل مطالبة باعادة الارض الى الرهبان . فالوحدة مع اثيوبيا ورفض امبراطورها من شأنهما وددهما اعادة الممتلكات الى الكنيسة ، لذلك كان مطران التجراي وارتريا ، الاب مرقص ، الذي سبق له ان تعاون مع الظليان والذي رسم مطرانا على يد بطريك موآل للظليان ، متحمسا للقضية الاثيوبية .

(بعد سنة ١٩٤٣ اصبح كل راهب داعيا للقضية

الاثيوبية ، واصبحت كل كنائس القرى او كارا للقومية الاثيوبية . وتحول كل احتفال ديني مثل الـ (مسقل) – (عيد الصليب) الى مناسبة لأشهار الروح الوطنية الاثيوبية . وصارت كاتدرائيات المدن وكنائس القرى والاديرة تزيين بالاعلام الاثيوبية ، واخذت الصلوات والموعظ طابعاً ومغزى سياسياً . وقد تعطى موعدة المطران في عيد المجوس سنة ١٩٤٣ فكره عن هذا الواقع حيث قال يومها : –

(الصبي المولود الجديد يحمل الى الكنيسة بعد ولادته بأربعين يوماً ، وتحمل المولودة الانثى بعد ولادتها بثمانين يوماً ليصير لها اسمان يعرفان بهما . عندما يبكي الطفل ترضعه امه ، وحالما تلامس شفتاه ثديها ، يكف عن البكاء . أما انتم ايها الناس فهل تحملون اسماء ؟ ان لكم اما وعليكم ان تعرفوها مثلما تعرفون « هي » – ويعني بها اثيوبياً) . انتهى
كلام ترفاكس .

ولا غرابة ان يكون لهذه الدعاية الدينية اثر فعال في نفوس عامة الناس في مجتمع تسود فيه روح التأثير الديني ، وكما يقول تقرير اللجنة الرباعية التي زارت ارتريا في عام ١٩٤٧ ، « كان الكنيسة تمثل في كل قرية رمز وحدتها ، لذلك يعتبر من اولى مهام مجلس القرية ادارة الامتيازات التي تتمتع بها الكنيسة منذ قرون ، بينما ينصرف قساوستها – ويصل عددهم أحياناً الى ثلاثين قساً في القرية الواحدة – الى الاهتمام بالحياة الروحية للسكان ، الامر الذي يجعل تأثيرهم على الاهالي كبيراً وذلك كرؤساً عدینین او كرجال زين يتلقون الاعترافات » .

واصدر المطران مرقص مرسوما بموجبه حرم المسيحيون الارتيون الذين ينتمون الى حزب كتلة الاستقلال من كافة حقوقهم الدينية كالعماد ومراسيم الزواج والدفن وغيرها . صحب ذلك ارهاب اثيوبي منظم ضد كل انصار الاستقلال . وفشل الاتفاقية التي توصل اليها الزعماء السياسيون في اكتوبر ١٩٤٦ بمبادرة الرعيم العاقل لحزب الاتحاد مع اثيوبيا — جبر مسقل ولدو — والتي كانت ترمي الى قيام اتحاد كونفدرالي بين ارتريا واثيوبيا المستقلتين ، وذلك بعد ان عاد القنصل الاثيوبي ، الكولونيل نقا هيلي سلاسي الى اسمرا وأجبر جبر مسقل على الاستقالة وحول زعماء حزب الاتحاد « الى خدام للحكومة الاثيوبية » على حد تعبير ترفاكس .

واثر الجولة التي قام بها البريجadier ج . م . بنوي ، الحاكم الاداري البريطاني في كافة أنحاء ارتريا شارحا اتفاقية الصلح التي عقدت في ٢٥/٦/١٩٤٦ في باريس بين الحلفاء وایطاليا وبموجبها تنازلت ايطاليا عن مستعمراتها في افريقيا ، مشيرا الى حق الارتيين في تقرير مصيرهم ، تحولت جمعية حب الوطن (محبر فكري هقر) التي كانت تحت النفوذ الاثيوبي الى حزب سياسي باسم (حزب الاتحاد مع اثيوبيا) برئاسة تدلا بايرو .

تلا ذلك دعوة ابراهيم سلطان كل التجمعات الاسلامية في البلاد الى ارسال ممثلي عنهم في اجتماع يعقد في ٤/١٢/١٩٤٦ للبحث في مستقبل ارتريا . وفي هذا الاجتماع وافق الحضور على تشكيل (تجمع اسلامي) وفي اجتماع

آخر عقد في ١٩٤٧/٢١ اعلن انشاء (حزب الرابطة الاسلامية الارترية) بهدف السعي لاستقلال ارتريا ورفض اي مشروع يرمي الى تقسيمها . واتخذت مدينة كرن مقرا للحزب .

وفي محاولة يائسة من قبل بعض العناصر الوطنية المثقفة والواعية سياسيا نسبيا بزعامة رأس تسمى وابنه ابرها اصدر (الحزب التقديمي الليبرالي) الذي كان يطلق عليه ايضا (حزب الاحرار المسيحي) بيانا في مارس (آذار) ١٩٤٧ مؤيدا منطلقات حزب الرابطة الاسلامية .

واحس حزب الاتحاد الاثيوبي بجدية المعارضة الوطنية الارترية القومية ، فكان رد فعله العنف والارهاب ، وقام بعدد من الهجمات بالقنابل اليدوية والمتجرات على عدد من زعماء حزب الرابطة والحزب التقديمي الليبرالي .

هذا الانفجار المفاجئ لاعمال العنف والذي استمر خمسة سنوات لفت انتظار لجان التحقيق الدولية التي زارت ارتريا الى الوضع السيء الذي وصلت اليه الوحدة الارترية المتفككة . في استثناء وقوف بعض المسيحيين من انصار الحزب التقديمي الليبرالي الى جانب حزب الرابطة الاسلامية ، وانضم بعض المسلمين لحزب الاتحاد مع اثيوبيا ، وقف الارتريون منقسمين تحت راياتهم الطائفية .

وأكدت تحقيقات لجنة الدول الاربع الكبرى التي زارت ارتريا في الفترة من ١٩٤٨/١٢ الى ١٩٤٧/١١ التحقيق الخامسة التابعة للأمم المتحدة التي زارت ارتريا في الفترة من ١٩٥٠/٦ الى ١٩٥٠/٤ وجود الانقسام

الديني حول مصر ارتريا السياسي .

ومنح هذا الانقسام الارتري الفرصة للدول الطامعة بأرتريا ان تفرض عليها الاتحاد الفدرالي مع اثيوبيا بحجية مطالبة جزء من السكان بوحدة انصهارية مع اثيوبيا بينما فئة اخرى تطالب بالاستقلال الكامل ، وان الاتحاد الفدرالي على حد تعبير صاحبه — مندوب الولايات المتحدة الامريكية في الامم المتحدة — يشكل حللا وسطا بين دعوة الاستقلال ودعوة الانصهار .

وهكذا نجحت الصفقة الامريكية — الاثيوبية وبموجبها اقيمت في ارتريا قواعد عسكرية امريكية ، بينما كان الخاسر الوحيد هو الشعب الارتري عقابا له على انقساماته غير الموضوعية والتي اعتمدت على الهيجان العاطفي القصير النظر .

الفصل الثالث

فشل الاتحاد الفدرالي

كان الاتحاد الفدرالي ينص على أن تتمتع ارتريا بأوسع نطاق ممكن من الحكم الذاتي . وبموجب نصوصه كانت ارتريا تعتبر وحدة مستقلة فدراليا مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى وتتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية مسلولة ولها علمها الخاص ولفتها الخاصة (العربية والتجريبية) ودستورها الديمقراطي وشرطتها ونظام ضرائبها وتشترك في الأجهزة الفدرالية بنسبة متساوية مع اثيوبيا . ولكن فشل التطبيق لم يأت نتيجة النوايا الاثيوبية السيئة فقط ، واهمال الامم المتحدة لوضع ضمانات كافية لصيانة الاتحاد ، وإنما جاء الفشل وبصفة أساسية نتيجة استمرار الخلافات الارتيرية .

فكل من طرفي النزاع – أنصار الاستقلال المسلمين وانصار الاتحاد المسيحيين – حاو لجر الجبل لصالحه ، فوقع الجميع غنيمة لاثيوبيا .

لقد تشكل في عام ١٩٥٢ برلمان ارتري منتخب (معظمه بواسطة انتخابات غير مباشرة) من عدد متساو من المسلمين والمسيحيين (٣٤ مسلم و ٣٤ مسيحي) بينما تشكلت ادارة الحكومة بتوافق انجلو – اثيوبي بنحو ٩٠٪ من العنصر المسيحي بهدف اشعار المسلمين بالغبن وبالتالي خلق صراع

ارتري داخلي يمنع الاستقرار ويمكن الحكومة الإثيوبية من التدخل . وحل الجيش الإثيوبي محل الجيش البريطاني باسم (الجيش الاتحادي) في حين لم تؤلف حكومة اتحادية على الاطلاق خلافا لنصوص القرار الفدرالي ، وفرض ممثل الامبراطور الإثيوبي نفسه كرئيس فعلي لارتريا ، وهذا التمثيل لم يكن منصوصا في قرار الأمم المتحدة وإنما فرضته إثيوبيا عن طريق أنصارها في البرلمان الارتري . وافتسب ممثل الامبراطور عن طريق جيش احتلاله كل صلاحيات الحكومة الارتية ، كما استولى على كل المرافق الحيوية للدولة من موانئ وموانئ وجمارك وغيرها .

وبدأفع استمراء السلطة ، حاول تدلابairo ، رئيس الوزراء الارتري ، والسكرتير العام السابق لحزب الاتحاد مع إثيوبيا ، ان يمنع ممثل الامبراطور من التدخل في الشؤون الداخلية الإرتية ، ونال في ذلك تأييد اغلبية البرلمان الارتري الذي اتخذ لأول مرة قراراً بالأغلبية بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٥ طلب فيه من رئيس الوزراء الارتري ان ينذر الحكومة الإثيوبية بوجوب اعطاء الضمانات اللازمة لسيادة الدستور الارتري .
وإذا نشل رئيس الوزراء في ان يحصل خلال عشرين يوما على وعد من الحكومة الإثيوبية بالتعاون المخلص في تطبيق قرار الأمم المتحدة ، فان على رئيس الوزراء الارتري عندئذ ان يطلب الى الأمم المتحدة ان تتدخل فورا .

ولكن عواطفه القديمة ومخاوفه من ان يؤدي ذلك الى الاستقلال الذي كان معارض له جعله يقبل بأوامر الامبراطور الإثيوبي بالاستقالة ليعينه سفيرا له في السويد ، وليصبح

فيما بعد لاجئا سياسيا هناك بعد ان ايد جبهة التحرير الارترية في كفاحها من اجل الاستقلال الوطني الكامل !!
ولما ارتفعت اصوات المواطنين منددة بالتدخل الاثيوبي في الشؤون الداخلية الارترية تحدث ممثل الامبراطور - اندلکاشو ماساي - عام ١٩٥٥ فقال (ليست هناك مسائل داخلية او خارجية فيما يتعلق بمنصب ممثل الامبراطور ، ولن تكون هناك مثل هذه المسائل في المستقبل . ان شؤون ارتريا تعني اثيوبيا بصورةها الكلية والامبراطور) .

وفي ٤/١١/١٩٦٢ وضع اثيوبيا حدا للاتحاد الذي ظل كسيحا منذ ميلاده بأن اعلنت دمج ارتريا نهائيا اليها دون اتخاذ اية اجراءات قانونية الا ما اعلنته من موافقة البرلمان الارترى الذي كان قد تحول الى دمية تعين اعضاءه الحكومة الاثيوبية من العمد والمشايخ والقساوسة .

الفصل الرابع نمو الوعي الوطني

في عام ١٩٥٢ ، عند دخول الاتحاد الفدرالي بين ارتريا واثيوبيا حيز التنفيذ ، كتب السيد كندي فاسكينس ، السكرتير السياسي للادارة البريطانية في ارتريا ، مختتما كتابه (ارتريا مستمرة في مرحلة انتقال - ٤١ - ١٩٥٢) كتب يقول :

(مسلمو ارتريا قبلوا شراكة الاتحاد بتردد ، وسيكونون اول من يتضاعق من تدخل اثيوبي مبالغ في شؤونهم . وفي هذا المجال لا بد للحكومة الاثيوبية ان تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي طرأت على اوضاع الشرق الاوسط ، وعلى ازدياد النفوذ الاسلامي السياسي فيها ، فمنع الانسحاب الانجليزي من السودان ، واصحاح النفوذ البريطاني في مصر ، واقتراب شروق شمس استقلال الصومال ، تجد اثيوبيا نفسها محاطة بدول اسلامية مستقلة ، نشيطة وطموحة . وفي مثل هذا الوضع لا بد ان يكون لا ياضطراب مسلم في اثيوبيا ذيول خطيرة ، فالزعماء المسلمين في ارتريا بدوا يدركون قيمة صلاتهم الاسلامية خلال الفترة الاخيرة من الاحتلال البريطاني ، ولا بد انهم سيعمدون الى استغلال اية ظروف تشير عدم رضاهم في المستقبل . وفي مثل هذه الحالة لا بد من ان تحرك نداءاتهم عطف سائر المسلمين وتشجيعهم

على أثره الاضطرابات ، وعلى العصيان والثورة ، ليس في صفوف مسلمي ارتريا فحسب ، بل كذلك في صفوف مسلمي اثيوبيا ، الاكثر عددا .

(كما ان شأن اي تدخل اثيوبي غير ضروري في شؤون ارتريا ان يثير ردة فعل خطرة — ان لم تكن مباشرة في صفوف الارتريين المسيحيين انفسهم . فبالامس اخذت جماعة الحزب الالحادي الارتري الاثيوبي بارشادات الاثيوبيين عندما كانوا بحاجة الى مساعداتهم لكن ذلك لا يعني انهم يرقصون غدا على الايقاعات الاثيوبيّة . ان معنى ازيداد الوعي السياسي بين الارتريين المسيحيين لا يتجسد في كونهم طلبوا الوحدة مع اثيوبيا ، وانما في كون الكثرين منهم تعلموا كيف يفكرون لأنفسهم وكيف يعبرون عما يفكرون به . بالنسبة لهم كان للوحدة مع اثيوبيا بريقها العاطفي ، اما السبب الحقيقي لتأييدهم حزب الاتحاد يمكن في اعتقادهم ان الحكم الاثيوبي يؤمن مصالحهم افضل من الحكم الاستعماري الاوروبي .)

(ولا يستبعد ان يجد اي اضطراب يقوم في الهيبة الارترية صدأه في بلاد التجراي ، وان يحرك من جديد احلام الوحدة الارترية — التجراوية . وليس من الحكمة ان تقدم اثيوبيا بمثل هذه المجازفة .)

(القرار الاخير في هذا الصدد متترك لاثيوبيا . ان الميل لاخضاع ارتريا لرقابة شديدة سيبقى بصورة دائمة مصدر اغراءات كبيرة بالنسبة لافريقيا . لكنها لو حاولت لتمرست لاثارة اشمئزار الارتريين ، وربما لثورة من شأنها

— بمساعدة وعطف خارجيين — ان تقويض دعائم اثيوبيا وارتريا معاً) . انتهى كلام ترافاسكيس .

لقد صحت نبوءة ترافاسكيس التي بنيت على فهم موضوعي لطبيعة العلاقات السياسية والدينية في المنطقة . فاثيوبيا الامبراطورية التي قامت منذ نهاية القرن التاسع عشر على عقيدة التوسيع والاستيعاب « والتتمير » ما كان لها ان تغير اسس بنائها ونمط تفكيرها السياسي وهي لا تزال امبراطورية تضم قسرا شعوبا متباعدة . ومن هنا عمدت اثيوبيا الامهرية الى امارة ارتريا . فمنعـت تدريس اللغتين الرسميتين لارتريا — العربية والتجرينية — لتحول محلها اللغة الامهرية الغريبة على الشعب مما ولد استياء عام وبخاصة عند المواطن المسيحي الذي كان يعتقد في ازدهار ثقافته ولغته في ظل الاتحاد الفدرالي وتحت حماية اثيوبيا المسيحية القوية ، ذلك ان المواطن المسيحي انما لجأ الى اثيوبيا تطلعا الى حماية مصالحه في ظله مع شكوكه الدفينة في نوايا أخيه المسلم في الوطن والذي يميل تقليديا الى تعزيز نفوذه السياسي بمساعدة جيرانه واخوانه من العرب المسلمين .

اضافة الى ذلك ، فان الشوفينية الممهرية عمدت الى الاستئثار بالمراكز العليا في الادارة الارترية . واصبح من المألوف ان تجد مديرًا عاما امهريا شبه امي يتراوس ادارة حكومة يديرها بالفعل نائبه الارترى الاكثر كفاءة . مظاهر التمييز الذي اتسم بالاستئثار والتعالي دفع المواطن المسيحي الارترى الى اعادة التفكير نحو قصة « الاخوة الارترية —

وفي بلد احتك بالحضارة الاوروبية الحديثة لاكثر من سبعين عاما من خلال الاستعماريين الايطالي والبريطاني ، ومارس شعبه تحت الادارة البريطانية قdra من الحرريات العامة ، فان القهر والسلط الذي يتسم به نظام اثيوبي قائم « على الحق الالهي المطلق للامبراطور » ، كان فوق طاقة الاحتمال الارتري . صاحب القهر والسلط السياسي وحل الاحزاب والنقابات العمالية والحرفية ، ضائقة اقتصادية وبطالة متفشية كانت نتيجة للاساليب الاقطاعية وللنهب الذي مارسته الدولة الاثيوبية لمرافق الحيوية الاقتصادية حتى فككت مصانع بأكملها ونقلتها الى اثيوبيا لتمزيق التجمعات العمالية بعد ان قام العمال باضراب شامل في عام ١٩٥٨ ومظاهرات ضخمة فرقتها بالعنف سقط خلالها العشرات قتلى في شوارع اسمرا .

لقد كانت الغطرسة الاثيوبية الامهرية دافعا قويا للمواطن الارتري وب خاصة المواطن المسيحي — فالمسلم كان يعترض الارتباط باثيوبيا منذ البداية — كي يعيد حساباته وموافقه تجاه اثيوبيا . ومن هنا ساهمت هذه الغطرسة في بروز الحس الوطني الارتري لدى من كانوا قبل سنوات قلائل يرفعون شعار (اثيوبيا او الموت) .

وعندما انشأ العمال الارتريون المهاجرون (حركة تحرير ارتريا) في بورتسودان في عام ١٩٥٨ وجدت تجاوبا واسع النطاق على مستوى الوطن ، وعرفت في الهضبة الارترية باسم (محبر شعبي) اي (التنظيم السباعي) حيث كان التنظيم

على شكل خلية تتالف من سبعة اشخاص . وانضم للتنظيم عدد كبير من الطلبة والعمال والموظفين ورجال الامن . وحاول ثلاثة مواطنين كلهم مسيحيون وبدافع وطني اغتيال القس ديمطروس — نائب رئيس البرلمان الارتري العميل في عام ١٩٦١ — ودفع احدهم حياته ثمنا لهذه العملية . ومثلت حركة التحرير الارترية — وربما لاول مرة في تاريخ ارتريا الحديث — تجمعا وطنيا يناضل في سبييل الاستقلال ويتجاوز الخلافات الدينية .

وبعد ان نشأ الكفاح المسلح تحت قيادة جبهة التحرير الارترية واندفاع المواطنين المسلمين في تأييدها ، ظل الشعور العام بالنسبة للمواطنين المسيحيين وبخاصة في اوساط الطلبة والمثقفين يزداد عداء للسلطان الاثيوبي على ارتريا . كما ظل يتحقق بالثورة اعداد محدودة منهم . الا ان سياسة هيلي سلاسي الماكرة واستغلاله المستمر لسلاح الدين واثارة مخاوف الجماهير المسيحية من « جبهة ارتيرية تناوي بالاستقلال مدعومة من العرب المسلمين » ، ظلت محجمة لثورة الغضب المسيحي الارترى . ورغم التبرم والتململ ظل المواطنون المسيحيون بالاغلبية — خلال الستينات — قابعين تحت الادارة الاثيوبية مستأثرین بما تجود به الاریحية الامهريّة من حقوق سواء في مجال التوظيف او التعليم .

وكانت السلطات الاثيوبية تترصد اخطاء الثورة الارترية المسلحة وتضخمها في سبيل الحفاظ على ولاء المواطن المسيحي حتى انها استطاعت ان تسلح الاف من المليشيا في الهضبة بحجة الدفاع عن النفس ضد من اسمتهم « بالخارجين

عن القانون » . كما الفت من عدد لا يأس به من رجال الامن . معظمهم مسيحيون مع وجود بعض المسلمين بينهم — فرقا للصاعقة عرفت باسم (فرقة الكماندوس) دربها خبراء اسرائيليون . وكانت هذه الجماعات المسلحة ترتكب فظائع ضد المواطنين العزل بهدف عزل الثورة عن الجماهير .

الا انه في مجمل الامر ان الشعور بالمواطنة الارترية بين عموم السكان استمر النمو باطراد ، حتى جاء سقوط هيلي سلاسي في عام ١٩٧٤ عبر الانقلاب الذي تم بالاقساط وجاء بالجنرال امان عندوم ، الارترى الاصل ، على رأس الدولة الاثيوبية ورفع شعار (الحل السلمي للمشكلة الارترية) الا ان الشوفينية الامهرية لم تسمح ان يكون على رأس دولتها ارتري ولو كان مسيحيا . واعدم الرجل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ في مسلسل اعدامات دموية قاده السفاح منجستو هيلي ماريام الذي لا يزال يمارس لعبته القذرة ضد كل شعوب اثيوبيا .

واثار مقتل امان عندوم شعور الغضب لدى المواطنين الارتريين وبخاصة المسيحيين منهم الذين كانوا يرون فيه امراً حل ما للمشكلة الارترية . وبدأ شعور التحدى للسلطات الاثيوبية واضحا باتساع نطاق المشاركة المسيحية في الثورة الارترية والتي تجلت في عمليات عسكرية ضد الجيش الاثيوبى في اسمرة في نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٧٤ مما دفع السلطات الاثيوبية الى ردود فعل قاسية ووضحت مثلاً في شنق ١٦ طالباً في شوارع اسمرة بأسلاك الكهرباء . وبلغ الانفعال الوطنى ذروته بمعارك اسمرة في فبراير (شباط)

١٩٧٥ التي اثارت ردود فعل اثيوبية عنيفة ضد القرى المسيحية المجاورة لاسمرا حتى اباد الجيش الاثيوبي في قرية واحد . ووكي دوبا — ٧٦ مواطنا بينما راهبهم يرفع الصليب مستجديا العطف .

تل ذلك المشاركة الفعلية والفعالة للمواطنين المسيحيين في الثورة الارترية وحيث تدفق الالاف من الطلبة والعمال والموظفين والشرطة نحو مقاتل الثورة في اتجابال . واخذت الثورة الارترية بعدها وطنيا صحيحا بمشاركة كل المواطنين فيها بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية . وبدا للعالم بأن فجرا جديدا يوشك ان يشرق في سماء ارتريا بميلاد جمهورية ارتيرية مستقلة يعيش تحت رايتها كل المواطنين في ظل الحرية والعدالة والمساواة .

ولكن ... للقصة بقية . وهو ما نود معالجته في الفصول القادمة .

الفصل الخامس جبهة التحرير الارترية والثورة المسلحة

بعد لجوء السيدين ادريس محمد آدم — وكان رئيسا للبرلمان الارترى — وابراهيم سلطان علي ، وكان امينا عاما لحزب الرابطة الاسلامية الارترية — الى القاهرة في عام ١٩٥٩ (وكان قد سبقهما اليها ولدآب ولد ماريام ، الذي كان رئيسا للاتحاد العام لعمال ارتريا) ، تطلع الارتريون الى هؤلاء الزعماء السياسيون البارزين لاتخاذ خطوة ما كاثارة المشكلة الارترية امام الامم المتحدة ، غير أن مثل هذه الخطوة كانت قد برهنت عقمها ، وصار الاتجاه يميل نحو الكفاح المسلح ، وبعد زيارة قام بها ادريس سلطان للسعودية في مستهل عام ١٩٦٠ توجهت اراء طلائع الجالية الارترية بالسعودية نحو ادريس محمد آدم لتزعم تنظيم يقود كفاحا مسلحا . وبعد عودته الى القاهرة تبلورت الفكرة وخرجت الى حيز الوجود بتأسيس جبهة التحرير الارترية برئاسته تدعمه مجموعة من الطلبة والعمال في اوساط الجاليات الارترية في القطر العربي المجاورة وبالاخص مصر والسعودية والسودان .

ووسط جو من التنافس الحاد والمغير ضروري — على الاقل عندما ننظر اليه اليوم بمنظار موضوعي — بين جبهة التحرير الارترية وحركة التحرير الارترية لكتائب الانصار

وسط الجاليات الارترية ، اعلن حامد ادريس عواتي – رحمه الله – التمرد المسلح ضد الاحتلال الايثيوبى . ومع ان الاتصالات بينه وبين ادريس محمد آدم – بحكم العلاقة القبلية والاقليمية والمعرفة الشخصية – كانت قائمة عبر مراسلات تمر بجموعة الارتريين العاملين في (ارطة العرب الشرقية) في الجيش السوداني في كسلا – المدينة الحدودية – الا ان اعلن التمرد المسلح لم يتم وفق اعداد مسبق . كانت فكرة قيادة عواتي للعمل المسلح واردة لكونه خبير بحرب العصابات ، مارسها ايام الاحتلال البريطاني بجانب خبرته بالعمل العسكري كرقيب سابق في الجيش الايطالي ، ولكن لم يكن لديه سلاح كاف . كان يملك بندقيته الانجليزية عيار ٣٠٣ المخصصة وبضعة بنادق ايطالية قديمة لبعض زملائه . واستدعته السلطات الايثيوبية الى اغوردات عندما شعرت باتصالاته بالحركات السياسية السرية . وادرك ان ذلك قد يؤدي الى اعتقاله او على الاقل تجريده من بندقيته . فكان ان خرج الى الجبال معينا الثورة المسلحة في ١٩٦١/٩/١ بعد اعداد معنوي لجماهير الشعب عن طريق بعض المشايخ الوطنيين في ريف المنطقة الغربية .

وتبنت جبهة التحرير الارترية هذه الحركة العفوية وامتها بكثيات محدودة من السلاح تم شراؤها من الاقطارات المجاورة بالاموال التي جمعها اعضاء الجبهة من تبرعاتهم . ومع ان عواتي توفي في وقت مبكر – حوالي منتصف عام ١٩٦٢ – الا ان زملاءه في السلاح وبعد ان انضم اليهم مجموعة من الجنود الارتريين المدربين الذين كانوا يعملون

في الجيش السوداني ، تمكنا من تطوير العمل المسلح ،
معتمدين في تسليح انفسهم على مصادرين : ١) سلب
السلاح من العدو بشن هجمات على مراكزه الصغيرة في
الريف ودورياته ، ٢) شراء السلاح والذخيرة بكميات قليلة
من الاقطاع المجاورة بالأموال التي جمعها من اعضاءها
وبخاصة من الجاليات الارترية في السعودية .

وبالاعتماد على الذات تمكنت الجبهة من انشاء نواة
لجيش تحرير ارتري قوامه — عند منتصف عام ١٩٦٤ نحو
٢٥. مقاتلا — وذلك عندما وصلت اول معونة خارجية من
سوريا وهي عبارة عن ٢٠ كلاشنكوف . ولاول مرة دخل
رشاش الكلاشنكوف الروسي الى ارتريا عن طريق سوريا .
 الا ان هذا النمو العسكري الهام تم على حساب
الضمور التنظيمي . فقد ارتكبت قيادة الجبهة — وانا احد
عناصرها الاساسية في هذا المجال — خطأ كبير بمنح الاولوية
للبدنية وليس للتنظيم ، وكما يقول ماوي تسي تونغ (ان
الثورة لن تنجح متى تحكمت البدنية على التنظيم) .

وانسياقا وراء هذه القاعدة الخاطئة ، اعتمد تنظيمنا
في تطوير اسسه التنظيمية على الاجتماعات المحدودة دون
مؤتمر شامل كالتي عقدت في القاهرة وانحصرت في التجمع
الطلابي عند تكوين الجبهة في عام ١٩٦٠ ، ثم في كستل
بالسودان لتأسيس قيادة ثورية تشرف على سير القتال
واطلق عليها القيادة الثورية الشعبية في عام ١٩٦٢ ،
والاجتماع العسكري في (برتشيش) بمنطقة (القاش)
في عام ١٩٦٢ والذي حضرته شخصيا ، ثم اجتماع (كر)

فاجتمع (القدين) ثم اجتماع كسلا في عام ١٩٦٥ والذي انبثقت عنه القيادة الثورية لجبهة التحرير الارترية ونظام المناطق العسكرية الخمسة والذي فشل في عام ١٩٦٧ لعوامل عديدة ابرزها انعدام القيادة العليا المنتخبة اذ لم يكن المجلس الاعلى الا اسما بلا مسمى لا يعرف حتى اشخاصه اذا استثنينا شخصين او ثلاثة اذ كانت تسمية المجلس الاعلى مجرد اقتراح مني ومن ادريس محمد آدم ومحمد صالح حمد في لقاء لنا بمنزل ادريس محمد آدم في القاهرة في عام ١٩٦٢ بعد ان حلت اللجنة التنفيذية الاولى للجبهة ، على اساس ان الاقتراح الجديد سيعرض في مؤتمر للجبهة لم يعقد مطلقا حتى الان ، الامر الذي اصبحت معه الجبهة جسدا بلا رأس وبالتالي فشلت في معالجة المشاكل التي نجمت من فشل نظام المناطق العسكرية وترك الباب مفتوحا للتكتلات القبلية والدينية والاقليمية تتسلقها زعامات محدودة المدارك والثقافة ، تمارس انقلابات عسكرية بمعزل عن التنظيم العاجز .

وبالنظر الى الخطأ التنظيمي الاساسي ، فقد عولجت قضية الخلافات من كافة الاطراف المختلفة بشكل يتسم بالتعصب والنظرة الضيقية ، فتبارت القيادات لاثبات الذات وتأمين الواقع وكسب الشرعية عن طريق مؤتمرات جانبية تكرس الانقسام ولا تقضي عليه ، وكانت مؤتمرات عنسية للوحدة الثلاثية (١٩٦٨) ومؤتمر ادوبيحة (١٩٦٩) ومؤتمر عمان للمكاتب السياسية (١٩٦٩) ومؤتمر سدوا عيلا (١٩٧٠) لقوى التحرير الشعبية ومؤتمر أمهراء (١٩٧١)

ومؤتمر بيروت الذي انعقدت عنه البعثة الخارجية (١٩٧٢) وفي الجانب الآخر عقد المجلس الثوري عدداً من المؤتمرات مروراً بمؤتمره الاول (١٩٧٢) ومؤتمره الثاني (١٩٧٥) . وبانشقاق قوات التحرير الشعبية ، عقد احد شقيقها مؤتمره الخاص بزعامة اسياس افورقي في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧ ليخرج باسم الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا ، آخذًا طابعه الديني التقليدي تحت مظلة (ماركس) المسكين بينما عقدت قوات التحرير الشعبية مؤتمراً في مارس (اذار) ١٩٧٧ بزعامة عثمان صالح سبي .

وكل مؤتمر يدعى الشرعية والتمثيل للشعب الارتري كله ، بينما مؤتمر اخر ينكر عليه هذا الحق ، الامر الذي ادى في النهاية الى نشوب حرب اهلية بين المجلس الثوري وقوات التحرير الشعبية وكانت درساً قاسياً بنتيجته دفع شعبنا ثمناً فادحاً من دماء ابنائه الذين خر المئات منهم صرعى برصاص بعضهم ببعض خلال سنوات الحرب الاهلية الثلاثة (٧٢ - ١٩٧٤) .

الفصل السادس

فشل مساعي الوحدة ومخاطر الانقسام الديني

لقد نشأت الثورة المسلحة بجهود المسلمين في ارتريا وتمركزت في السنوات الخمس الاولى في المنطقة الغربية المسلمة . وحتى عندما بدأ الكفاح المسلح ينتشر — بعد نظام المنافق في عام ١٩٦٥ — الى الهضبة الارترية التي تسكنها اغلبية مسيحية فأن مساهمة ابناء تلك المناطق لم تصل الى مستوى فعالا . لقد كان افراد غاضبون على التسلط الاثيوبي من المواطنين المسيحيين يلتحقون بالثورة حتى عندما كانت في بدايتها في المنطقة الغربية ، لكن معظم هؤلاء كان يستسلم للعدو حتى وصل الامر الى استسلام قائد المنطقة الخامسة (ولدای كحسای) في عام ١٩٦٧ بعد المجزرة التي ارتكبها احد قادة الثورة المسلمين في المنطقة الثانية ضد مجموعة من ابناء الهضبة معظمهم مسيحيون بحجة فشلهم في حراسة احد المستودعات العسكرية .

كانت هناك اخطاء عديدة وجسيمة من جانب القيادات المسلمة في معاملتهم لبناء وطنهم من الناضلين المسيحيين ، ذلك انهم عند التحاق قلة من المقاتلين المسيحيين الذين كانوا يندفعون بحماسهم الوطني ، وكانوا لا يراعون في معاملتهم لهم الحساسيات القديمة التي تخلفت من الصراع السياسي

ابن تقرير المصير جانب بعض الحساسيات التي تتعلق
ببعض المعتقدات الدينية .

قضايا صغيرة لاحظتها بنفسها في عام ١٩٦٤ عند
اجتماعي بالقاتلين في منطقة (القدين) ، وكانت تنشأ من
معالجتها معالجة خاطئة قضايا أكبر . على سبيل المثال ،
قضية الذبح ، فالبسطاء من أبناء الطائفتين لا يأكلون اللحم
المذبوح بغير أيدي أبناء طائفتهم . وعندما كان يتواجد بين
ـ جندي مسلم ؟ مسيحيين كانوا يحرمون من أكل اللحم .
وتنشأ عقد نفسية عن ذلك تؤدي إلى فرار أحد هم ، فيلجأ
القائد إلى إجراء خطيء ويجرد الآباء من اسلحتهم ، وينشأ
عندئذ الفرار الجماعي .

ولحسن الحظ انتهت اليوم قضية اللحم ، وصار المواطنون
يأكلون معا بلا تحفظات ، وذلك بفضل انتشار الوعي
السياسي بينهم .

وكانت السلطات الإثيوبية تتسلط أخطاء الثورة
وتحل نفسها عبر أجهزة اعلامها ، فتشأ الحساسيات الدينية ،
ويفهم المواطن المسيحي - خطأ - أن هذه الثورة هي ثورة
إسلامية مدعومة من العرب المسلمين . ومن هنا ينحاز
لإثيوبيا - حامية حمى المسيحية - ولو ان المسيحية براء من
سياسات إثيوبيا التي تستغل الدين لتفرق وحدة السكان .
وتصبّع المرتفعات تبعاً لذلك ترسانة سلاح - من كماندولز
ومليشيات محلية - غايتها محاربة الثورة وعدم تمكينها
من الاستقرار في الهضبة المسيحية كما حدث في الستينات
وببداية السبعينات .

اجراءات القيادة العامة التي انبثقت من مؤتمر ادوبيحة
شكلت القشة التي قصفت ظهر البعير . فقد سلكت هذه
القيادة مسلكاً اقليمياً دينياً في صراعها من اجل فرض سلطتها
على جميع المواطنين . وبعبارة واضحة حاولت القيادة العامة
فرض (سلطة المنطقة الغربية المسلمة - بتحالفات محدودة
مع بعض القبائل المسلمة) على شتات ارتريا المتنافر عن
طريق القوة والقوة فقط . وكانت ان شنت حملة اعتقالات
ضد ابناء المناطق الشرقية شملت اعضاء في القيادة العامة ،
كما شنت حملة اعدامات جماعية ضد ابناء الهضبة المسيحية ،
اما دفع اسياس افورقي الذي كان عضواً فيها الى الانفصال
بمجموعة مسيحية قليلة لينضم في عام ١٩٧٢ الى قوات
التحرير الشعبية والتي تشكلت في عام ١٩٧٠ من العناصر
الرافضة لاسلوب القيادة العامة ونواتها الاساسية ابناء
المنطقة الشرقية الذين بروز في صفوفهم من يطمحون ايضاً
بشكل غير عقلاني ويتغىّب اقليمي مغلف بالشعارات
الماركسية الى زعامة الثورة الارترية على انفاس فشل
مقررات مؤتمر ادوبيحة والتوجه الخاطئ للقيادة العامة .
الفعل الخاطئ ادى الى ردود افعال خاطئة من قبل
الجمعيات الارترية المتباعدة . وكان ان تكتلت كل مجموعة
تحت لواء زعامتها المحلية سواء اكانت دينية او اقليمية او
قبلية . وكل مجموعة تدعى النزاهة والوطنية والتقديمة
والديمقراطية الخ . . .

ولاحفاء هذه الحقائق الارترية رفع كل فريق راية
ماركس مدعياً امامية مسنوداً بمجموعة لا تتجاوز حدودها

الطائفي او القبلي . ونشأت احزاب سرية صغيرة مثل حزب العمل الارتري الذي انضمت اليه معظم قيادة المجلس الثوري كما نشأ في الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا حزب سري اخر مشابه باسم حزب الشعب الديمقراطي .

وفي الواقع العملي لا حزب العمل ولا حزب الشعب عملاً لتوحيد الشعب وتبنته باتجاه الوطنية الارترية ، وهي ما كانت ولا تزال ارتريا في حاجة اليه لتحقيق استقلالها الوطني والفوز بالاستقرار والامن ، وضاعت صيحات من يقول (علينا ان نحقق « الوطنية ») التي تتجاوز الطائفية والاقليمية والقبيلية الضيقة قبل ان نقفز الى الاممية تحت اي شعار كان ، وسط ضجيج الشعارات والطموحات الانانية الضيقة ، ولم يلتفت احد الى الحكمة القائلة (الحسنة تبدأ بالاقربين) .

وتحت راية الماركسية والاممية تقاتل المجلس الثوري وقوات التحرير الشعبية (الجبهة الشعبية حالياً) لثلاثة اعوام بعد ان قررها ماركسيو المجلس في مؤتمرهم الاول في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١ ، وحتى الان فإن ماركسيي انطرفين لا يزالون على خلاف حاد واقتتال غير معن ، كل يعمل بتجمعه للسيطرة لوحده على ارتريا التي لا تزال رسمياً تحت الاحتلال الاثيوبي .

على ان تنفيذ قرار الحرب الاهلية من قبل المجلس الثوري ولد رد فعل معاكس في جانب قوات التحرير الشعبية . فقد قررت اللجنة الادارية التي كان يرأسها اسيس انجورقي ، الا تلتقي مطلقاً مع قيادة المجلس الثوري باعتبار

ـ هذه القيادة مجرمة ومسئولة عن حرب أهلية . وقررت ان تعمل على كسب القواعد للاطاحة بالقيادة . وهذا الاتجاه وضع لي جليا عند لقائنا باللجنة الادارية في منطقة (بلقيات) ثم منطقة (العين) في ابريل (نيسان) ١٩٧٥ حيث كان اسياس يصر على ان يتم اللقاء مع المجلس من خلال لجان مقاتلين فقط ، مما جعله يرفض في النهاية اتفاقية الخرطوم التي وقعتها البعثة الخارجية لقوات التحرير الشعبية مع المجلس الثوري في ١ / ٩ ١٩٧٥ والتي كانت تنص على توحيد الفصيلين عبر مؤتمر عام يعقد خلال ثمانية اشهر يسبقها تنسيق شامل وتحضير مشترك ولو قبل اسياس اتفاقية الوحدة — دون التصرف بردود فعل سلبية — وكانت ارتريا اليوم دولة مستقلة .

ولكن مما يؤسف له تصرف اسياس ولجنته الادارية بمنطق الطموح للسيطرة المطلقة على ارتريا (وتجربتها اي جعلها تجريبية ثقافية) ومسح معالم الثقافة العربية التي يتمسک بها المسلمين وبذلك عالجت اللجنة الادارية الخطأ بخطأ افধ ، تماما كما حدث في عام ١٩٤٧ عندما اعلن المسلمين تأليف حزب الرابطة الاسلامية كرد فعل لاعلان المسيحيين تأليف حزب الاتحاد مع اثيوبيا .

وجمعت اللجنة الادارية انصارها من المقاتلين في منطقة اسمها (شمال بحري) واعلنت في نوفمبر (تشرين الثاني) رفضها لهذه « الوحدة الفوقية » وطالبت بـ « وحدة الفكر قبل وحدة البنادق » . وفتشت كل المساعي اللاحقة من اجل ابقاء قوات التحرير الشعبية موحدة بما في ذلك الاجتماع

الذى تم بين البعثة الخارجية واللجنة الادارية في الخرطوم في مارس (آذار) ١٩٧٦ تحت رعاية الرئيس السوداني الفريق جعفر محمد نميري . واصبح الانقسام بين مؤيدي الوحدة ومعارضيها أمرا لا مفر منه ، فكانت ان انشقت قوات التحرير الشعبية لتخرج عنها الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بأغلبيتها المسيحية المتحالفه مع الاقطية الاسلامية في المنطقة الشرقية (مصوع وضواحيها) ، بينما ظلت قوات التحرير الشعبية بأغلبية اسلامية .

وتراجع المجلس الثوري عن اتفاقية الوحدة التي وقعتها مع قوات التحرير الشعبية في عام ١٩٧٥ في اجتماعه الدوري في اغسطس (آب) ١٩٧٦ بحجة ان طرفا من هذا التنظيم رفض الاتفاقية . وفشلت كل المساعي التي بذلت من اجل توحيد الجناح الوحدوي لقوات التحرير الشعبية مع المجلس الثوري على الرغم من المساعي المتكررة . وعكس هذا الرفض من قبل قيادة المجلس الثوري صورة سلبية على تنظيمه ، اذ انقسمت قواعده على شكلها الطائفي ، فالتتحقق جزء كبير من مسيحييه بالجبهة الشعبية بينما التحق جزء من المسلمين بقوات التحرير الشعبية .

وهكذا اطلت علينا سنة ١٩٧٨ وكان الارتربيين يتوجهون نحو الانقسام تحت راياتهم الدينية كما فعلوا في عام ١٩٤٨ ، واضاعوا الاستقلال ، متكتفين هذه المرة على ع Kapoor ماركس (سترا للحال) وهربا من (تهمة الرجعية) بينما تمثل الممارسة العملية قمة الرجعية .

وكانت آخر المحاولة لرأب الجدار الارتربي المتصدع هي

تلك التي دعت لها قوات التحرير الشعبية في صيف عام ١٩٧٧ حيث سعت لتأمين لقاء عن طريق بعض الدول العربية بين قادة المنظمات الثلاثة في الخرطوم . وقدمت مشروعها للوحدة (منشور في ذيل هذا الكتب) . الا ان رفض زعيم الجبهة الشعبية — اسياس افوري — لاي لقاء مع قوات التحرير الشعبية التي يرى أنها تمثل الاتجاه الداعي للتزاوج — الثقافي العربي — التجربة في ارتريا ، بينما يرفض تنظيمه هذا الاتجاه ويرى ضرورة (تجرنة) ارتريا واستبعاد الثقافة العربية عنها ، ادى الى فشل هذا المسعي .

كما ان بعض الدول العربية المتوسطة لحل الخلاف لم تمارس ضغطاً من اى نوع على الجبهة الشعبية الرافضة للوحدة ، ربما لعدم ادراكها تماماً ل التركيبة الارترية المعقّدة .

وعلى امل منع الانهيار التام لما حدثت الوحدة ، قررت قوات التحرير الشعبية — من موقع الحرص على وحدة الشعب الارتي ووحدة طلائعه المقاتلة ، ابتدت تنازلات اكثر . فاعلنت في رسالة وجهتها الى نائب الرئيس السوداني السيد ابو القاسم محمد ابراهيم بتاريخ ١٧/١٠/١٩٧٧ استعدادها لحل تنظيمها ودمجها في تنظيم الجبهة الواحدة اذا ما قامت هذه الجبهة بالفعل من التنظيمين — المجلس الثوري والجبهة الشعبية . وعلى اثر ذلك وبضفيوط سودانية مكتفة اعلن اتفاق مبدئي للوحدة بين الفصيلين الا ان كل طرف من الطرفين تمسك ب موقفه وشروطه التعجيزية في اجتماع لاحق عقد في (حقات) بتاريخ ٣٠/١١/١٩٧٧ وانتهى الاتفاق الى الفشل

النام والى تبادل الاتهامات ، بل والى التراشق المسلح .
و اذا ما سلمنا بالحقيقة القائلة بأن الوحدة هي الطريق
الوحيد الى النصر والاستقلال فان ذلك يعني عمليا ان
الانتصار في ظل الانقسام الراهن ، خاصة اذا اخذنا في عين
الاعتبار التدخل العسكري السوفيaticي الواسع النطاق لصالح
نظام منجستو الاثيوبي والذي تستند له عوامل سياسية ودولية
وافريقية عديدة . فالمشكلة الارترية لا تزال في نظر الافارقة
ودول اخرى بأنها مشكلة داخلية اثيوبيه وبالتالي تدخل في
نطاق قضايا (الانفصال) التي لا تجد ترحيبا من قبل افريقيا
والعالم ، على الرغم من أن ذلك يتنافى وحقيقة المشكلة
الارترية التي نشأت بالاصل من قرار دولي خاطئ هو قرار
الامم المتحدة الفدرالي رقم ٣٩٠ لعام ١٩٥٠ ، هذا القرار
الذى يعترف بالكيان الارترى المميز والذى الفتنه اثيوبيا من
طرف واحد .

النمو العسكري المطرد للقوات الاثيوبيه ، والدعـم
السوفيaticي بجانب الدعم الاسرائيلي الذي له تأثيره السياسي
على الدول الغربية بحكم هيمنة النفوذ الصهيوني على امريكا ،
والدعم المعنوي الافريقي لاثيوبيا ، كل ذلك يجعلنا نقول بأن
الزمن ليس لصالح استقلال ارتريا اذا لم ندرك نحن الارتريون
هذه الحقائق ونستوعبها ونتجاوز ذواتنا ونخرج بصيغة عملية
تؤمن وحدتنا وبالتالي انتصارنا السريع والحاـسـم .

الفصل السابع الحل يكمن في المواجهة الصريحة للنفس

تلخيصا لما اوردته في هذا الكتاب اقول ان حل الخلافات الارترية يمكن في الاعتراف الصريح بواقع التكوين السكاني المتعدد الاديان والثقافات واللهجات ، ليس لتكريس التععدد ، فالذى ينشد الوحدة لا يدعو الى التععدد ، وانما يفتش عن الدواء المناسب بعد معرفة الداء ، فالطبيب لا يبحث عن العلة لذاتها ، وانما لمعالجتها معالجة صحيحة .

ولنتحدث عن المشكلة بصرامة اكثر . فالمسيحى الارتري مثلا يتحسّس من اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية لارترية ، ولو كانت بجانبها اللغة التجريبية ، اعتقادا منه ان هذه اللغة العالمية الحية والتي يتمسك بها جزء كبير من السكان — المسلمين — كلفة رسمية لهم ، ستطفى على اکسوم المجاورة . من هذا المنطلق يدفع نفسه نحو تجمعه لفته وثقافته المحلية وبالتالي ستطمس على مر الايام تكوينه الثقافى والحضارى والدينى والذى يرتبط تاريخيا بملكية الطائفى ، وبالتالي النزوع نحو الهيمنة الطائفية بداعف الخوف أكثر مما بداعف الطموح المشروع للفوز بالسلطة .

لنعد الى تاريخ هذا الصراع الثقافى قليلا الى الوراء . ففي عام ۱۹۵۱ عندما قام مندوب الامم المتحدة — الدكتور

أنزو ما تنزو بجولته الاستطلاعية في كل أنحاء ارتريا لمعرفة آراء الشعب حول بعض القضايا مثل قضية اللغة الرسمية ، وجد أن السكان ينقسمون إلى فئتين — مسلمون ينادون بالعربية لغة رسمية ولا مانع لديهم من اتخاذ التجريبية لغة رسمية أخرى ، ومسيحيون ينادون بالتجريبية فقط . وسجل ذلك في تقريره الدوري وتقريره النهائي . وعندما عرضت مشكلة اللغة أمام البرلمان الارتري في عام ١٩٥٢ شكلت أحدي القضايا التي اختلف فيها المسيحيون والمسلمون الارتريون إلى أن ثبتو اللقتين (العربية والتجريبية) لفتين رسميتين على قدم المساواة وفق ٣٨ من الدستور الارتري .

وفي الفقرة ٥٧ من تقريره النهائي يذكر المندوب مشكلة اللغة فيقول : (ثبت ان مسألة اللغة الرسمية هي احدى اعراض الامور التي اثيرت اثناء مشاورات المندوب مع سكان ارتريا واكثرها اثارة للجدل . ومن خلال عمل المبعوث فسي ارتريا وجد ان اللقتين العربية والتجريبية راسختان وثابتتان في البلاد ، وهو على وعي تام بان التجريبية هي لغة الغالبية العظمى من السكان المسيحيين ، وبان العربية هي لغة الطقوس الدينية للمسلمين الذين يتكلم معظمهم التجريي ، لكنه لا يستطيع تجاهل الرابطة الدينية للعربية ، وهو واع الى ان الميل الدينية هي عامل هام في هذه المرحلة من الحضارة الارترية ... ولهذا تألف بالنتيجة لسانا مشتركا بين قطاعات السكان المسلمين يتفاهمون بها رغم اختلاف لغاتهم ولهجاتهم) . ويضيف المندوب في الفقرة (٥٨) فيقول : (ثمة عوامل اخرى تبين اتساع استعمال العربية في ارتريا

فالجرائم مثلًا تصدر بالعربية كما تصدر بالتجريبية . وقد حدثت مشاورات مبعوث القوى الاربع الكبرى ، ثم مشاورات بعثة الامم المتحدة الاولى ثم مشاورات هذه البعثة كلها بالعربية والتجريبية ، يضاف الى هذا ان التوثيق الرسمي لهذه الهيئات ترجم الى العربية والتجريبية . ومن المستحيل على المبعوث ان يتغافل هذه الواقع .

ويضيف مندوب الامم المتحدة في معرض حديثه عن الخلاف حول اللغة الرسمية فيقول في تقريره النهائي تحت عنوان (التقرير الـ ٧١ - الفقرة ٦) : (اصبح موقف كل من الجبهة الديمقراطية الارترية وحزب الرابطة الاسلامية اشد تصلبا في نهاية المشاورات ، فمثلا كان هذان الحزبان يجدان في البداية اعتماد اللغتين العربية والتجريبية لفتين رسميتين ، ثم عادا فرفضا اللغة التجريبية) .

اذا هناك مشكلة اللغة والثقافة . لتعترف بهذه المشكلة كل الاطراف الارترية المعنية . فالاعتراف بوجود مشكلة بداية لحلها حلا صحيحا .

هناك ايضا مشكلة السلطة : كيف يرتب امرها ، هل يؤخذ بعين الاعتبار الواقع الطائفي الارترى عند تكوين الحكومة دون ان يتخذ نظام لبنان الذي يكرس الطائفية مثلا يحتمى ، ام تتجاهل هذا التكوين نظريا ثم نطبقه عمليا ، فنفضي بذلك على الكيان الارترى الموحد . هل نطالب نظريا بحكومة علمانية اشتراكية الخ .. ونطبق عمليا حكم طائفي او اقليمي او قبلي وتكون النتيجة قبرصية ارتريا ولبننتها ؟ هل تكون هناك حكومة مركزية قوية ام نعمل بنظام الامرکيزية

السياسية والادارية لفسح المجال امام التباين الثقافي
والقومي الموجود ؟

قضية السلطة هي قضية قائمة وحية ومهمة ، وبعدم
الوصول الى حل محدد حولها بين الاطراف الارترية المعنية
فسخ المجال لاستمرار الصراع حول السلطة والتسلط .
ويبقى السؤال الاساسي : كيف يمكن مناقشة هذه
القضايا المصيرية في حين بعض الاطراف ترفض حتى القاء
السلام على اطراف اخرى ، فضلا عن الجلوس في مائدة
حوار ؟

والجواب البديهي هو ان مثل هذا الطرف او الاطراف
مخطة وعليها ان تراجع عن هذا الموقف الخاطئ اذا ارادت
بخلاص ونراحت تحقيق الاستقلال لارتريا .

ان قوات التحرير الشعبية لا تستخون احدا - لا
المجلس الثوري ولا الجبهة الشعبية . صحيح انها تستخطيء
المواقف الرافضة للوحدة ولكنها لا تقول بخيانة احد . فكل
الاطراف الارترية الثلاثة تحمل السلاح في وجه العدو المحتل
ومن اجل تحرير ارتريا . لكن الاستمرار في الموقف الخاطئ
سيؤدي حتما الى الفشل . وهذا ما سيتحمل نتائجه
الرافضون للوحدة الوطنية الارترية ولبدأ الحوار الديمقراطي .

الفصل الثامن الخلاصة

من أجل إنقاذ ارتريا يجب أن تلتقي قيادات الفصائل الارترية الثلاثة . ١ - قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الارترية . ٢ - المجلس الثوري لجبهة التحرير الارترية . ٣ - الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا . يجب أن تلتقي القيادات نوراً ودون تضييع الوقت في احدى المدن الارترية المحررة على أن يحضر هذا اللقاء بعض الشخصيات الوطنية الارترية التي لها دور ولم تكن طرفاً في صراع الفصائل الثلاثة ، بجانب وفود الدول الشقيقة والصديقة المعروفة بمساندتها للنجاح الارتي .

وتقرر في هذا اللقاء المبادئ التالية :

١) الحوار الديمقراطي هو السبيل الوحيد لتوحيد فصائل الثورة ولتقرير اسلوب الحكم في ارتريا المستقبل . وهذا يعني تعهد كل الاطراف بعدم اللجوء الى العنف لحل الخلافات السياسية الارترية وبذلك نجنب شعبنا ويسلاط حروب اهلية حاضراً ومستقبلاً .

٢) المؤتمر الوطني العام هو المكان الوحيد لمعالجة قضية الوحدة الوطنية الارترية وبالتالي تتفق الفصائل الثلاثة على عقد هذا المؤتمر وزمانه ومكانه وكيفية الوصول اليه . ولحين يتم انعقاده تتشكل لجنة تنسيق عليا من الاطراف الثلاثة بمثابة حكومة انتقالية وتشرف على شؤون القتال

والأدارة الخ ..

٣) مع الاعتراف بتنوع التركيب السكاني والجغرافي لارتريا ، يؤكد اللقاء على العوامل الايجابية لصالح وحدة ارتريا وشعبها كوحدةخلفية الحضارية السامية المتماثلة للشعب والمصالح الاقتصادية المشتركة .

٤) لضمان نجاح هذا اللقاء يلزم بالضرورة ان يعلن الفصيلان - المجلس الثوري والجبهة الشعبية - قبولهما بدون تعنت ودون ان تأخذ كل منهما العزة بالاثم ، قبولهما هذا اللقاء ، ومن ثم التحرك فورا نحو اتخاذ الاجراءات العملية لتنفيذ اللقاء المقترن .

٥) مع املنا ان يسود القيادات الارترية العقل بدل العناد والكبراء الزائف والذى اخرج الشيطان من الجنة (الاسجد لن خلقت من طين) ، نطالب الدول العربية الشقيقة الداعمة للثورة الارترية وبالاخص السودان والصومال وسوريا ومصر والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية وال سعودية ودول الخليج العربي ولبيبا ان تبذل جهدا فعالا لتوحيد مصائر الثورة الارترية والضغط على اي طرف يرفض مبدأ الحوار الديمقراطي والمؤتمر التوحيدى بمختلف الوسائل بما في ذلك حرمانه من الدعم ، فما يجري في ارتريا سيكون له تأثيره البعيد على امن المنطقة العربية وافريقيا .

ولعل هذه الصيحة الاخيرة تجد تجاوبا ايجابيا من كل الاطراف المعنية قبل ان يتضيئ صداتها في اجواء الفراغ وتضييع معها ارتريا ككيان مستقل الى ابد الابدين .

